Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

﴿عَبَسَ...﴾ فالكلمة موحية باستحضار الصورة بحركتها ولونها وظلّها، إنها تكوّن مشهداً حاشداً بالحركات التي تسلمك إلى إشارة التوقف؛ لتثير في نفسك انتباهاً إلى السؤال: لماذا الإعراض؟

لأن ذلك الفقير الأعمى اقتحم عليه قاعة الدرس فقطع عليه سلسلة حديثه مع الكبراء والسادة أولئك الذين طبع الله على قلوبهم.

ويساق التوجيه يحمل أشد العتاب، ولكنّه يسجل بأسلوب الغيبة تأنيساً ورحمة وتخفيفاً لوقعه؛ لأن النفس البشرية إذا بدر منها ما يتوجب اللوم أحست بالألم الذي يتضاعف في حالة العتاب والتأنيب وربما يفضي إلى النفور، ويُغري بالمُنهىٰ عنه، ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيّج الحرص على الإصرار وحاشى أن تكون نفسية الرسول ممن يجوز عليها ذلك.

فمن غيره يقوى على أن يَقذف بهذا الأمر في وجوه أولئك العتاة من كبراء قريش.

ولذلك اقتضت حكمة التوجيه الإلهي ـ لتضع القاعدة الأساسية للتربية ـ أن تسلك هذا المسلك المتدرّج تخفيفاً في بداية الشوط، حتى إذا آنست النفس وهدأت يتحول الأسلوب إلى الخطاب المباشر:

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾[1]. والحصة لم تنته بعدُ فما مضى منها قد خصص لوصف الحالة النفسية التي ارتسمت آثارها رسماً دقيقاً يهيىء المتلقّي إلىٰ التطلع والاستشراف؛ ليدخل به التوجيه بعد ذلك مباشرة في حيّز الدائرة التي تقوده إلى تقصّي الحقيقة عن سبب الإعراض استكمالاً لاستيفاء المعلومة التي توقظ النفس وتنبهها إلى دعامتين ثقيلتين في ميزان الله:

الأولى: إن الله وحده هو العالم بأسرار النفس ومكنوناتها وما ستؤول إليه من طهر ونفع يثمره الهدى والإيمان.

---

(1) سورة عبس، الآيتان: 2، 3.